٧

قدر كبير من ضبط الأعصاب

أحاديث مع مايكل ألبرت فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١،

وجريج رِجيرِ فى ٥ أكتوبر ٢٠٠١

سؤال: لقد حدث تحريك كبير للقوات واستخدام مفرط للخطاب العسكرى وصل إلى حد صدور تعليقات عن إبادة حكومات، إلخ. والآن، يبدو أن هناك قدرًا كبيرًا من ضبط النفس... فماذا حدث؟

تشومسكى: منذ الأيام الأولى التى أعقبت الهجوم، فإن حلف الأطلنطى والمختصين فى المنطقة ووكالات الاستخبارات، على ما يفترض، حذروا إدارة بوش من أنها إذا ما ردت بهجوم كبير يقتل الكثير من الأبرياء، فستكون بذلك تحقق أعز أمانى ابن لادن وغيره. ناهيك عن تحذير أناس مثلى ومثلك. وسوف يكون هذا صحيحًا - بل يزداد صحة إذا ما قتلوا ابن لادن مع أنهم لم يقدموا ما يعد دليلاً على تورطه فى جرائم الحادى عشر من سبتمبر. عندها سوف ينظر إليه باعتباره شهيدًا بين الغالبية الكاسرة من المسلمين التى تأسف لهذه الجرائم. وإذا ما أسكت عن طريق وضعه فى السجن أو الموت، فسيظل صوته يرن فى عشرات الآلاف من أشرطة الكاست التى توزع بالفعل فى كل أنحاء العالم الإسلامى، وعن العديد من اللقاءات معه، بما فى ذلك لقاء فى أواخر سبتمبر. كما أن هجومًا يقتل الأفغان الأبرياء سوف يكون تقريبًا دعوة لتعبئة أناس جدد للهدف البشع الذى تسعى إليه شبكة ابن لادن وغيرهم من خريجى القوات الإرهابية التى أنشأتها وكالة المخابرات المركزية وشركاؤها منذ ٢٠ سنة للقتال فى حرب مقدسة ضد الروس. إذ أنهم كانوا حين ذاك ينفذون جدول الأعمال أو البرنامج الخاص بهم.

ويبدو أن هذه الرسالة قد وجدت طريقها إلى إدارة بوش، التى اختارت أن تتبع نهجًا مختلفًا. كان هذا النهج حكيمًا من وجهة نظرهم.

ومع ذلك فإن كلمة "ضبط النفس" تبدو لى كلمة موضع شك. إذ أنه فى ١٦ سبتمبر، كتبت النيويورك تايمز أن "واشنطون طلبت أيضًا من پاكستان قطع إمدادات الوقود . . . ومنع قوافل الشاحنات التى تقدم الكثير من الغذاء وغيره من المؤن لسكان أفغانستان المدنيين". ومن الملاحظ أن هذا التقرير الذى نشرته الصحيفة لم يحدث أى رد فعل ملحوظ فى الغرب. وهذا يذكرنا بشكل عابس بطبيعة الحضارة الغربية التى يزعم القادة والمفكرون والنخب أنهم يناصرونها. وفى الأيام التى تلت ذلك، تم تنفيذ هذه الطلبات. ففى ٢٧ سبتمبر، كتب المراسل نفسه أن المسئولين فى پاكستان قالوا اليوم: "إنهم لن يلين عزمهم على إغلاق حدود البلاد مع أفغانستان التى تبلغ ١٤٠٠ ميل، وهو إجراء طلبته إدارة بوش؛ لأن المسئولين قالوا إنهم يريدون التأكد من أن أحدًا من رجال ابن لادن لا يختبئ بين الموجة الهائلة من اللاجئين" [چون بيرنز، إسلام أباد]. "أدى التهديد بالضربات العسكرية إلى سحب عمال المعونة الدولية مما أعاق برامج المساعدة" واللاجئون الذين يصلون إلى پاكستان "بعد رحلات شاقة من أفغانستان يصفون مشاهد البؤس والخوف فى وطنهم فى الوقت الذى تحول فيه الهجمات التى تقودها أمريكا بؤسهم الذى دام طويلاً إلى كارثة محتملة." [دوجلاس فرانز، نيويورك تايمز، ٣٠ سبتمبر]. ويقول أحد موظفى الإغاثة الذين تم إجلاؤهم "كانت البلاد تتعلق بشريان الحياة" . . . ونحن قطعنا هذا الشريان" [جون سيفتون، مجلة النيويورك تايمز، ٣٠ سبتمبر].

إذن طبقًا للصحيفة العالمية الكبرى، تصرفت واشنطون على الفور لضمان موت أعداد هائلة من الأفغان ومعاناتهم علمًا بأن الملايين منهم على حافة المجاعة. هذا هو معنى الكلمات التى اقتبسناها توًا، وهناك الكثير من التقارير التى تشبه ما أوردناه.

كانت أعداد هائلة من البؤساء تهرب إلى الحدود وهم فى حالة من الذعر، بعد أن هددت واشنطون بقصف القليل المتناثر المتبقى فى أفغانستان، وتحويل تحالف الشمال إلى قوة عسكرية شديدة التسليح. وهم يخشون، بالطبع، من أن هذه القوات إذا ما أطلقت من عقالها وقد دعمت تدعيمًا كبيرًا، فلربما تجدد الفظائع التى مزقت البلاد وجعلت الكثير من السكان يرحبون بالطالبان حين دحروا الفرق المتحاربة المجرمة التى تأمل واشنطون وموسكو فى استغلالها لأغراضهما الخاصة. ويحفل سجل هذه الفرق بالأعمال البشعة.

إن المدير التنفيذى فى قسم الأسلحة فى منظمة مراقبة حقوق الإنسان، جوست هيلترمان، وهو متخصص فى شئون الشرق الأوسط، يصف فترة حكمهم من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٥ بأنها "أسوأ فترة فى تاريخ أفغانستان." وتقول تقارير جماعات حقوق الإنسان إن فرقهم المتحاربة قتلت عشرات الألوف من المدنيين، وكذلك ارتكبت أعمال اغتصاب جماعية وغير ذلك من الفظائع. واستمر هذا فى حين كانت الطالبان تطردهم. ولنأخذ حالة واحدة، ففى عام ١٩٩٧ قتلوا ٣٠٠٠ من سجناء الحرب، حسب تقارير مراقبة حقوق الإنسان، كما قاموا بتطهير عرقى جماعى فى المناطق التى يشتبه فى أنها تتعاطف مع الطالبان، مخلفين وراءهم عدداً من القرى التى دمرها الحريق [انظر ما كتبه تشارلز سينوت فى بوستون جلوب فى ٦أكتوبر، وغير ذلك].

كما يوجد كل ما يحملنا على الاعتقاد بأن إرهاب الطالبان، البشع فى حد ذاته، تزايد تزايداً حادّا استجابة للتوقعات نفسها التى تسببت فى هرب اللاجئين. فحين يصل اللاجئون إلى الحدود المغلقة، يحشرون؛ كى يموتوا فى صمت ولا يفر سوى القليل جدّا خلال ممرات جبلية بعيدة. وليس فى وسعنا أن نخمن عدد من هلك. ذلك أن الشتاء القارس سوف يحل فى خلال بضعة أسابيع. وهناك بعض الصحفيين وعناصر الإغاثة فى معسكرات اللاجئين عبر الحدود، وما يصفونه شديد الشناعة، لكنهم يعلمون، وكذلك نحن، أنهم يرون المحظوظين من الناس، أى القليلين الذين تمكنوا من الفرار، - والذين يعبرون عن أملهم أنه ربما "حتى الأمريكيون القساة يشعرون ببعض الشفقة لبلدهم المحطم." [بوستون جلوب، ٢٧ سبتمبر، صفحة١].

ولقد تمكن برنامج الغذاء العالمى التابع للأمم المتحدة من إيصال مئات الأطنان من الغذاء إلى داخل أفغانستان فى أوائل أكتوبر، رغم أنه قدر بأن هذا لا يصل سوى إلى ١٥ فى المائة من احتياج البلاد بعد انسحاب الطاقم الدولى والتوقف عن تسليم المعونة الذى دام ثلاثة أسابيع بعد ١١ / ٩. على أى حال لقد أعلن برنامج الغذاء العالمى أنه أوقف جميع قوافل الغذاء وكل أنشطة التوزيع التى يقوم بها عاملوه المحليون بسبب الهجمات الجوية التى حدثت فى ٧أكتوبر. "إن السيناريو الكابوسى عن تدفق ١,٥ مليون من اللاجئين إلى خارج البلاد تقدم خطوة نحو

الوقوع . " كما جاء فى البرنامج الأمريكى للغذاء نقلا عن مسئولى الإغاثة . وقال أحد مديرى برنامج الغذاء العالمى : إنه بعد القصف بالقنابل ، فإن التهديد بوقوع كارثة إنسانية ، الحاد أصلاً " تزايد فى اتساعه وضخامته إلى حد لا أريد التفكير فيه " . كما حذر متحدث عن الإغاثة الصحية التابعة للأمم المتحدة قائلاً : " نحن نواجه كارثة إنسانية ذات أبعاد ملحمية فى أفغانستان ، حيث يعانى ٥ , ٧ مليون من نقص فى الطعام ، وهم وعلى وشك المجاعة " . وتنظر جميع الوكالات إلى عمليات الإسقاط الجوى للطعام كملجأ أخير ، وهى تفضل تسليم الغذاء عن طريق الشاحنات إلى حد كبير ؛ إذ تقول هذه الوكالات إنه سوف يكون ممكنًا لمعظم أنحاء البلاد . وذكرت الفينانشيال تايمز أن كبار المسئولين فى إحدى الهيئات كانوا " لاذعين " " وساخرين " فى رد فعلهم على الإسقاط الجوى الأمريكى للغذاء الذى طالما بشر به ، واعتبروه " لعبة دعائية أكثر من كونه طريقة لإيصال الطعام للأفغان الذين هم فى حاجة حقيقية للمعونة " هى " أداة دعائية " " تستغل المعونة الإنسانية لأغراض دعائية خبيثة " فى حين أن الهجمات الجوية " أوقفت الوسيلة الوحيدة لإيصال كميات ضخمة من الطعام للأفغان ـ قوافل الشاحنات البرية " التى يقدمها برنامج الغذاء العالمى . " الأمم المتحدة تعبر عن القلق فى الوقت الذى توقف فيه الهجمات الجوية جهود الإغاثة " . " يربط عمال الإغاثة بين إسقاط الطعام من الجو والغارات الجوية " . [الفينانشيال تايمز فى ٩ أكتوبر ، مقتبسة عن أوكسفام ، وأطباء بلا حدود ، ومنظمة العون المسيحى ، وصندوق إنقاذ الطفولة ، ومسئولى الأمم المتحدة] .

لقد كانت وكالات الإغاثة تعبر " بالنقد اللاذع عن الإنزال الليلى للطعام الذى تقوم به الولايات المتحدة " . وعلق أحد عمال الإغاثة البريطانيين فى إشارة إلى الرسائل الدعائية الموجودة على عبوات الغذاء قائلاً : " يمكنهم أيضا إسقاط المنشورات " ، ويقول مسئولو برنامج الغذاء العالمى : " سوف تطلب عمليات الإسقاط الجوى عمالاً على الأرض لجمع الطعام " ويقومون بتوزيعه " ويجب أن يتم ذلك أثناء النهار " وبإنذار مسبق بفترة كافية " ازدياد الشك فى إنزال الغذاء الذى تقوم به الولايات المتحدة " [الفينانشيال تايمز ، ١٠ أكتوبر] .

فإذا كانت ردود الأفعال هذه دقيقة ، إذن فإن الأثر المباشر للقصف الجوى والإنزال الجوى للغذاء الذى صاحبه يقلل من فعالية إمدادات الغذاء المتاح للسكان

الذين يموتون جوعًا، على الأقل على المدى القصير، فى حين يدفع "بالسيناريو الكابوسى" خطوة نحو الواقع. ولا يسع المرء إلا أن يأمل فى أن يتوقف التعذيب قبل حدوث أسوأ المخاوف، وأن تكون فترة إيقاف الغذاء الذى تمس الحاجة إليه فترة قصيرة.

وليس من السهل على المرء أن يكون متفائلا فى هذا الأمر، إذا ما فكرنا فى الاتجاهات التى تم التعبير عنها. فمثلاً، يذكر تقرير للنيويورك تايمز فى صفحة داخلية - بشكل عرضى - أنه "حسب عملية حسابية قامت بها الأمم المتحدة، سيكون هناك ٧,٥ مليون من الأفغان قريبًا، فى حاجة شديدة إلى رغيف من الخبز . . . لكن القنابل تسقط." إذ تناقص تسليم الغذاء بالشاحنات وهو الإسهام الوحيد المهم إلى حوالى النصف ولا يتبقى سوى أسابيع قبل أن يقلل قدوم الشتاء القارس بشكل حاد من إمكانية توزيع الطعام [بارى بيراك، ١٥ أكتوبر] وليست أمامنا حسابات بعد ذلك، وإن كان إجراؤها ليس صعبًا. ومهما كان ما سوف يحدث، فإن كون هذه هى الافتراضات التقريبية للتخطيط والتعليق لا يدع مجالاً للتعليق.

كما يجب علينا أن نتذكر أنه منذ الأيام الأولى التى تلت هجمات ١١/٩، لم يكن هناك ما يوقف عمليات إنزال الطعام جوّا للناس المحصورين داخل تلك البلاد التى أقول مرة أخرى إنهم يعذبون، وعلى ما يبدو لم يكن هناك ما يمنع تسليم الطعام بواسطة الشاحنات، كما أظهرت جهود الأمم المتحدة إمكانية ذلك قبل إيقاف هذه الوسيلة. ومهما كانت السياسات التى اتبعت من هذه النقطة فصاعداً، فإن كارثة إنسانية قد حدثت، وسوف يقع ما هو أشد سوءًا.

وربما كان أنسب وصف لذلك هو الذى قدمته الكاتبة والناشطة الهندية الرائعة الشجاعة أرناندهاتى روى، فى إشارتها إلى العملية "عدالة بلاحدود" التى أعلنتها إدارة بوش "اشهدوا العدالة غير المحدودة فى القرن الجديد. يموت المدنيون جوعًا فى حين هم ينتظرون أن يقتلوا" [الجارديان، ٢٩ سبتمبر].

ولم يقل تمسك إدارة بوش بفاعلية هذه العبارة حتى حين يدرك متخصصو الدعاية فى الإدارة أن عبارة "العدالة غير المحدودة" توحى بإعطاء صورة ألوهية للذات، وهى أيضًا خطأ دعائى، تمامًا مثل عبارة "الحرب الصليبية". لذا تغيرت

فصارت "الحرية الدائمة" على ضوء السجل التاريخى، وهى عبارة لا تدع مجالاً للتعليق.

سؤال: لقد بينت الأمم المتحدة أن التهديد بحدوث مجاعة فى أفغانستان تهديد كبير. واشتد الانتقاد الدولى فى هذا المجال، والآن تتحدث الولايات المتحدة وبريطانيا عن تقديم المساعدة الغذائية؛ لإبعاد شبح المجاعة. هل هما تستسلمان للضغط، فى الواقع، أم من ناحية المظهر؟ وما دافعهما؟ وماذا سيكون نطاق جهودهما وأثر هذه الجهود؟

تشومسكى: تقدر الأمم المتحدة أن ما بين ٧ و٨ ملايين معرضون للمجاعة الوشيكة. وتقول النيويورك تايمز، فى مقال صغير فى ٢٥ سبتمبر: إن ما يقرب من ستة ملايين من الأفغان يعتمدون على المساعدة الغذائية التى تقدمها الأمم المتحدة، بالإضافة إلى ٣,٥ مليون فى معسكرات اللاجئين فى الخارج، هرب الكثيرون منهم قبيل إغلاق الحدود. وذكر المقال إن بعض الطعام يتم إرساله إلى المعسكرات خارج أفغانستان. ومن المؤكد أن المخططين والمعلقين عليهم أن يفعلوا شيئًا ما؛ كى يقدموا أنفسهم باعتبارهم حريصين على البشر، ويسعون إلى منع مأساة رهيبة تكشفت على الفور بعد التهديد بالقصف بالقنابل والهجوم العسكرى وإغلاق الحدود الذى طالبوا به"، كما أن الخبراء يحثون الولايات المتحدة على تحسين صورتها عن طريق زيادة المساعدات للاجئين الأفغان، وكذلك عن طريق المساعدة فى إعادة بناء الاقتصاد" [كريستيان ساينس مونيتور، ٢٨ سبتمبر]. فيجب على المسئولين فى الإدارة الأمريكية أن يدركوا أن عليهم أن يرسلوا بعض الطعام للاجئين الذين عبروا الحدود، ويقوموا على الأقل بلفتة ما نحو تقديم الغذاء للجياع فى الداخل، وعليهم أن يفعلوا ذلك دون أن يعظهم متخصصو الدعاية؛ لكى "ينقذوا الأرواح" ولكن أيضًا لكى "يساعدوا الجهود الرامية إلى العثور على جماعات الإرهاب داخل أفغانستان" [بوستون جلوب، ٢٧ سبتمبر، فى اقتباس عن مسئول فى وزارة الدفاع الأمريكية، الذى يصف هذا "بالفوز بقلوب الناس وعقولهم"] وفى اليوم التالى، التقط محررو النيويورك تايمز الموضوع نفسه، بعد ١٢ يومًا من قول الصحيفة: إن عمليات الإماتة وضعت موضع التنفيذ.

أما عن نطاق المساعدة، فليس فى وسع المرء سوى أن يأمل فى أن يكون كبيرًا، وإلا فسوف تكون المأساة الإنسانية فادحة فى خلال بضعة أسابيع. وإذا كانت

الحكومة عاقلة، فسوف يكون هناك استعراض "للإنزال الجوى الكبير" للطعام، على الأقل، الذى يذكره المسئولون، لكنهم لم ينفذوه بعد، كما حدث فى ٣٠ سبتمبر، ولم يكن ذلك بسبب الافتقار إلى الوسائل.

سؤال: من المحتمل أن تقوم المؤسسات القانونية الدولية بالمصادقة على الجهود المبذولة للقبض على ابن لادن ومحاكمته هو وغيره، على افتراض إمكان إظهار الجريمة التى ارتكبها بما فى ذلك استخدام القوة. لماذا تتحاشى الولايات المتحدة اللجوء إلى هذا النهج؟ هل هذا يرجع فقط إلى عدم الرغبة فى إعطاء الشرعية لوسيلة يمكن أن تستخدم أيضًا ضد أفعالنا الإرهابية؟ أم أن هناك عوامل أخرى تعمل عملها؟

تشومسكى: كثيرون فى العالم يطلبون من الولايات المتحدة أن تقدم بعض الأدلة التى تربط بين ابن لادن والجريمة، وإذا أمكن تقديم أدلة كهذه، فلن يكون من الصعب حشد دعم هائل وراء جهد دولى، تحت مظلة وقانون الأمم المتحدة للإمساك به ومحاكمته هو وشركاءه. وليس من المستحيل فعل ذلك بالطرق الدبلوماسية، كما كان يشير به الطالبان بطرق مختلفة، رغم أن هذه التحركات قد رفضت بازدراء لصالح استخدام القوة. ومهما يكن من أمر، فإن تقديم أدلة يمكن تصديقها ليس بالأمر البسيط. وحتى إذا كان ابن لادن وشبكته متورطين فى جرائم ١١/ ٩، فقد يكون من العسير تقديم أدلة قابلة للتصديق. وعلى حسب كل ما نعلم عن الجناة، فربما يكونون قد قتلوا أنفسهم وهم ينفذون مهماتهم الفظيعة. أما صعوبة تقديم أدلة قابلة للتصديق، فقد اتضحت فى ٥ أكتوبر حين أعلن رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير، بقدر كبير من الاستعراضية، أنه لا يوجد الآن "أى شك على الإطلاق" فى مسئولية ابن لادن وطالبان، مظهرًا توثيقًا قائمًا على ما لا بد أنه أشد جهدًا فى البحث فى التاريخ، شاملاً مصادر جميع وكالات المخابرات الغربية وغيرها. وبالرغم من المعقولية الظاهرية للاتهام، والجهد غير المسبوق لتأكيده، فإن التوثيق ضئيل بشكل يثير الدهشة. وليس فيه سوى النذر اليسير الذى يرتبط بجرائم الحادى عشر من سبتمبر، وهذا النذر اليسير لن يؤخذ بالتأكيد، على محمل الجد إذا ما قدم على أنه اتهام ضد مجرمى الدول الغربية أو عملائهم. ذلك أن صحيفة الوول ستريت جورنال تصف الوثائق وصفًا دقيقًا بأنها "أقرب إلى الاتهام منها إلى الأدلة التفصيلية" مولية التقرير صفحة أخيرة. كما تشير الصحيفة بدقة إلى أنه لا

يهم أن تكون مقتبسة من مسئول أمريكى كبير يقول: إنّ "القضية الجنائية ليست ذات صلة. فالخطة هى محو السيد ابن لادن وتنظيمه".

المهم فى الوثائق هى السماح لبلير والأمين العام لحلف الأطلنطى وغيرهما بأن يؤكدوا للعالم أن "الدليل واضح ودامغ" ومن غير المحتمل أن تكون القضية المقدمة قابلة للتصديق لدى الناس فى الشرق الأوسط، كما كتب على الفور، روبرت فيسك، أو لدى غيرهم من الذين ينظرون إلى ما وراء عناوين الصحف. وعلى النقيض من ذلك، فإن الحكومات [حكومات الشرق الأوسط] ومنظماتها لديها الأسباب الخاصة بها التى تجعلها تنضم إلى الصف. وقد يسأل المرء عن السبب الذى جعل إخصائى الدعاية فى واشنطون اختاروا بلير ليقدم القضية، ربما كان ذلك للاحتفاظ بصورة من يبقى على بعض الأدلة شديدة الإقناع "لدواعى أمنية" أو ربما على أمل أن يتمكن من الدق على وتر يذكر الناس بتشرشل.

وفى الخلفية هناك حقول ألغام أخرى يجب أن يسير المخططون من خلالها بكل عناية. ولنقتبس من أرناندهاتى روى مرة أخرى: "كان رد الطالبان على طلب الولايات المتحدة بتسليم ابن لادن ردّا معقولا، على غير المتوقع: أظهروا الدليل، وعندها سوف نقوم بتسليمه. ورد الرئيس بوش هو "أن الطلب غير قابل للتفاوض". كما أنها تضيف أنه من بين الأسباب العديدة التى تجعل هذا الإطار غير مقبول من جانب واشنطون "بينما تجرى المحادثات لتسليم كبار المسئولين التنفيذيين، هل فى إمكان الهند أن تقدم طلبًا جانبيّا لتسلم وارين أندرسون، الأمريكى؟ لقد كان رئيس مجلس إدارة شركة يونيون كارباید، المسئولة عن تسرب الغاز فى بوبال؛ مما أدى إلى قتل ١٦٠٠٠ نسمة عام ١٩٨٤. لقد قمنا بجمع الأدلة الضرورية. وهى جميعًا محفوظة فى الملفات. فهل يمكن أن تسلموه لنا من فضلكم؟".

نحن لسنا فى حاجة إلى اختراع الأمثلة. فحكومة هايتى ظلت تطلب من الولايات المتحدة تسليم إيمانويل كونستانت أحد أقسى زعماء القوات شبه العسكرية فى حين كانت إدارة بوش الأول وإدارة كلينتون تقدمان التأييد الضمنى للطغمة الحاكمة وأنصارها من الأغنياء، على العكس مما تجرى به الأوهام. وحوكم كونستانت غيابيّا فى هايتى وحكم عليه بالسجن المؤبد لما قام به من دور فى المذابح.

فهل تم تسليمه؟ وهل يثير هذا الموضوع أى اهتمام ملحوظ فى وسائل الإعلام؟ من المؤكد أن هناك أسبابًا وجيهة للإجابة بالنفى. فالتسليم قد يؤدى إلى فضح الصلات التى يمكن أن تكون محرجة فى واشنطون. وفى نهاية الأمر لقد كان شخصية رئيسية فى مقتل ٥٠٠٠ شخص فقط - إذا حافظنا على النسبة فى عدد السكان، فهم يشكلون بضعة مئات الآلاف فى الولايات المتحدة.

مثل هذه الملحوظات تثير نوبات من الحنق والغضب فى أقصى طيف أصحاب الرأى فى الغرب، الذين يسمى بعضهم "باليسار"، أما بالنسبة للغربيين الذين احتفظوا بسلامة عقولهم وتكاملهم المعنوى، وبالنسبة للكثيرين من الضحايا التقليديين، فإن هذه الوسائل مفيدة وذات معنى. ومن المفترض أن قادة الحكم يفهمون ذلك. والمثال الوحيد الذى تذكره روى ما هو إلا البداية بالطبع؛ وهو واحد من الأمثلة الصغرى ليس بسبب نطاق البشاعة فحسب، وإنما لأن هذه الجريمة لم تكن بوضوح جريمة من جرائم الدولة. فلنفترض أن إيران تطلب تسليم المسئولين فى إدارة كارتر وإدارة ريجان، مع رفض تقديم الأدلة الكافية على الجرائم التى كانوا يقومون على تنفيذها - وهى موجودة بالتأكيد؟ أو فلنفترض أن نيكاراجوا تطلب تسليم السفير المعين فى الأمم المتحدة، وهو رجل يشمل سجل خدمته على لقب "برو كونصل" أى حاكم إدارى واسع الصلاحية، كما كان يسمى فى كثير من الأحيان فى هوندوراس الصغيرة، حيث كان يعلم بما يفعله إرهابيو الدولة - الذين كان يساندهم - من فظائع. والأهم من ذلك، فإن سجله يشتمل على واجباته كمشرف محلى على الحرب الإرهابية ضد نيكاراجوا، والتى تشن من قاعدة فى هوندوراس. فهل ستوافق الولايات المتحدة على تسليمهم؟ هل سيقابل الطلب ولو بالسخرية؟

هذه هى مجرد البداية. ويستحسن أن تظل الأبواب مغلقة، كما يفضل الاحتفاظ بالصمت المطبق الذى روعى منذ تعيين شخصية كبيرة فى إدارة العمليات التى تم إدانتها باعتبارها إرهابًا من جانب أعلى المؤسسات الدولية [يقصد محكمة العدل الدولية] والتى تقود "حربًا ضد الإرهاب" حتى چوناثان سويفت نفسه سوف يظل صامتًا. وربما يكون ذلك هو السبب الذى جعل خبراء الدعاية فى

الإدارة الأمريكية يفضلون اللفظ الغامض أى لفظ "الحرب" على اللفظ الأكثر وضوحًا "جريمة" "جريمة ضد الإنسانية" كما وصفها بدقة روبرت فيسك ومارى روبنسون وغيرهما.

سؤال: إذا سقط نظام طالبان وتم القبض على بن لادن أو أى شخص يزعمون أنه مسئول أوتم قتله، فما الخطوة التالية؟ ماذا سيحدث لأفغانستان؟ وماذا سيحدث عمومًا فى المناطق الأخرى؟

تشومسكى: يمكن أن تكون خطة الإدارة المعقولة هى متابعة البرنامج الراهن فى الإبادة العنصرية الصامتة، مصحوبًا بلفتات إنسانية؛ للفوز بتصفيق الجوقة المعتادة الذين يدعون للترنم بالثناء على الزعماء النبلاء الذين وهبوا أنفسهم "للمبادئ والقيم" لأول مرة فى التاريخ، ويقودون العالم "نحو حقبة جديدة" من المثالية والالتزام "بإنهاء الأعمال غير الإنسانية" فى كل مكان. فتركيا الآن مبتهجة إذ تنضم إلى "حرب واشنطون ضد الإرهاب" بل هى مبتهجة بإرسال قوات برية. ويقول رئيس الوزراء أجاويد: إن تركيا مدينة للولايات المتحدة "بدين خاص من العرفان" لأن "واشنطون ساندت أنقرة فى حربها ضد الإرهاب" على عكس الدول الأوروبية. إنه يشير إلى الحرب التى دامت خمسة عشر عامًا، والتى بلغت ذروتها فى أواخر التسعينيات بزيادة المعونة من الولايات المتحدة، والتى خلفت عشرات الآلاف من القتلى، وثلثى مليون من اللاجئين، ودمرت ٢٥٠٠ من القرى والبلدات. أى سبعة أضعاف ما حدث فى كوسوفو تحت القصف الذى قام به حلف الأطلنطى، كما أغدقت واشنطون الثناء والمكافأة على تركيا على انضمامها إلى الجهد الإنسانى فى كوسوفو، مستخدمة طائرات إف ١٦ نفسها التى قدمتها واشنطون، والتى استخدمتها بكفاءة فيما قامت به من عمليات هائلة من التطهير العرقى وإرهاب الدولة. وقد تحاول الإدارة أيضًا تحويل تحالف الشمال إلى قوة يمكن تنشيطها، وقد تحاول استجلاب أمراء حرب آخرين معادين لها، مثل الرجل المفضل سابقًا لدى واشنطون، قلب الدين حكمتيار الموجود حاليًا فى إيران. ومن المفترض أن تقوم القوات الخاصة الأمريكية والبريطانية بمهام داخل أفغانستان مع

القصف الانتقائى، ولكن على نطاق صغير حتى لا تعبأ قوات جديدة وراء قضية الإسلاميين المتطرفين.

ولا ينبغى أن تقارن حملات الولايات المتحدة أكثر مما يجب بالغزو الروسى الفاشل فى الثمانينيات من القرن العشرين. ذلك أن مثل هذه المقارنة سوف تكون جزافية. فالروس كانوا يواجهون جيشًا كبيرًا يتكون ربما من ١٠٠٠٠٠ أو أكثر من الرجال المنظمين المدربين المسلحين تسليحًا ثقيلاً بواسطة وكالة المخابرات المركزية وشركائها. أما الولايات المتحدة فتواجه قوة متشرذمة فى بلاد قد تم تدميرها عبر ٢٠ سنة من الرعب، ولم نتحمل عن ذلك التدمير أقل قدر من المسئولية! فقوات الطالبان، بحالتها الراهنة، قد تنهار بسرعة، باستثناء نواة صلبة صغيرة. ويمكننا أن نتوقع أن يرحب ما يتبقى من السكان بقوة غازية فيما لو لم تكن مرتبطة بشكل ملموس جدًا بالعصابات الإجرامية التى مزقت البلاد إربًا قبل استيلاء الطالبان عليها. عند هذه النقطة، من المحتمل أن يرحب الكثير من الناس بچنكيز خان.

وماذا بعد ذلك؟ كان الأفغان خارج الوطن، وعلى ما يبدو بعض العناصر الداخلية التى ليست جزءًا من الدوائر الخاصة فى طالبان، يطالبون بجهد تقوم به الأمم المتحدة لإقرار نوع من الحكومة الانتقالية. وهذه عملية يمكن أن تنجح فى إعادة بناء شىء قابل للعمل من بين الركام، إذا ما زود بمساعدة كبيرة للتعمير تمر من خلال مصادر مستقلة مثل الأمم المتحدة أو المنظمات غير الحكومية الموثوق بها. يجب أن يكون هذا القدر هو الحد الأدنى من المسئولية من جانب أولئك الذين أحالوا هذا البلد الذى هده الفقر، إلى أرض للإرهاب واليأس والجثث والضحايا المشوهة. يمكن لهذا أن يحدث، ولكن ليس بدون جهد شعبى كبير فى المجتمعات الغنية والقوية. أما فى الوقت الحاضر، فإن أى نهج كهذا قد تم استبعاده من جانب إدارة بوش، التى أعلنت أنها لن تشترك فى "بناء للأمة" أو أن ذلك هو ما يبدو حتى الآن ٣٠ سبتمبر، وهو جهد يكون أكثر كرامة وإنسانية: الدعم الكبير دون تدخل من أجل "بناء الأمة" بواسطة الآخرين، الذين قد يحققون بعض النجاح فى هذا المشروع الكبير. ولكن الرفض الحالى للنظر فى النهج السليم ليس محفوراً على الحجارة. أما ما يحدث فى المناطق الأخرى، فهذا يتوقف على العوامل الداخلية وعلى سياسات الفاعلين الأجانب، وأولهم الولايات المتحدة لأسباب واضحة، كما يتوقف على سير الأمور فى أفغانستان. ولا يمكن للمرء أن يقول الكثير بكثير من الثقة، ولكن بالنسبة للكثير من السبل الممكنة، نستطيع القيام بتقييمات معقولة

عن النتيجة المحتملة ـ وهناك الكثير جدّا من الإمكانيات، بل هى أكثر من إمكان استعراضها فى تعليقات موجزة.

سؤال: لقد تبادلت الولايات المتحدة المواقع فجأة مع عدد من الدول فى الشرق الأوسط، وأفريقيا وآسيا، عارضة تنويعة من الصفقات النقدية والسياسية والعسكرية مقابل أشكال من الدعم؛ وذلك كى تشكل تحالفًا دوليّا. كيف يمكن لهذه التحركات المفاجئة أن تؤثر فى الديناميات السياسية فى هذه الأقاليم؟

تشومسكى: إن واشنطون تخطو ببطء وتؤدة. إذ علينا أن نتذكر ما هو عرضة للخطر. هناك احتياطى الطاقة الكبير فى العالم، بصفة رئيسية فى السعودية، وكذلك فى كل أنحاء منطقة الخليج، بالإضافة إلى موارد لا يستهان بها فى وسط آسيا. وبالرغم من أن أفغانستان تعد عاملاً أقل أهمية، إلا أنها كانت موضع نقاش لسنوات باعتبارها موقعًا محتملاً لأنابيب النفط، تعين الولايات المتحدة فى المناورة المعقدة من أجل التحكم فى موارد وسط آسيا. ذلك أن الدول الواقعة إلى الشمال من أفغانستان دول هشة وتتسم بالعنف. وأهمها أوزبكستان. ولقد كانت موضع استنكار من منظمة مراقبة حقوق الإنسان لما ترتكبه من فظائع خطيرة وهى تقاتل لمنع القلاقل التى تثيرها الجماعات الإسلامية بها. ووضع طاچيكستان مشابه، كما أنها منفذ لتجارة المخدرات إلى أوروپا، وعلى الأخص فى ما يرتبط بصلتها مع تحالف الشمال الذى يتحكم فى جزء كبير من الحدود بين طاچيكستان وأفغانستان وعلى ما يبدو أنه كان المصدر الكبير للمخدرات، منذ أن قضى الطالبان تقريبًا على زراعة الخشخاش. ومن الممكن أن يؤدى فرار الأفغان إلى الشمال إلى جميع صنوف المشكلات الداخلية. فپاكستان ـ التى كانت المؤيد الرئيسى للطالبان ـ بها حركة إسلامية متطرفة قوية. ولا يمكن توقع ردود أفعالها، وتحمل ما تحمل من الخطورة، إذا ما استخدمت پاكستان بشكل ملحوظ قاعدة لعمليات الولايات المتحدة فى أفغانستان؛ وهناك الكثير من النصح الرشيد السديد فيما يتعلق بامتلاك پاكستان للسلاح النووى. فبينما يتوق العسكريون الپاكستانيون إلى الحصول على المساعدة العسكرية من الولايات المتحدة التى وعدوا بها فعلاً، إلا أنهم حذرون بسبب العلاقات العاصفة فى الماضى، كما أنهم قلقون من وجود أفغانستان متحالفة مع

عدوهم فى الشرق، أى الهند. ولا يسرهم أن يقود الطاچيك والأزبك وغيرهما من الأقليات المعادية لپاكستان تحالف الشمال، فى حين تؤيد هذه الأقليات الهند وإيران وروسيا، والولايات المتحدة الآن أيضًا.

"وفى منطقة الخليج، هناك شعور بالمرارة حتى من جانب العناصر الغنية العلمانية بسبب سياسات الولايات المتحدة، وكثيرًا ما يعبرون بهدوء عن تأييدهم لابن لادن، الذى يمقتونه ولا يوافقون على النظر إليه باعتباره "ضميرًا للإسلام" [النيويورك تايمز، ٥ أكتوبر، اقتباسًا عن محام دولى عن الشركات متعددة الجنسية والذى تدرب فى الولايات المتحدة]. يعبرون عن تأييدهم بهدوء لأن هذه الدول دول قمعية؛ ومن بين العوامل التى أدت إلى هذا الشعور العام بالمرارة نحو الولايات المتحدة تأييدها لهذه النظم القمعية. ومن الممكن أن ينتشر الصراع الداخلى بسهولة؛ مما يؤدى إلى عواقب وخيمة، خاصة إذا ما نجم عن هذا تهديد لسيطرة الولايات المتحدة على الموارد الهائلة فى المنطقة. وهناك مشكلات مشابهة تمتد إلى شمال أفريقيا وجنوب شرق آسيا، وعلى الأخص إندونيسيا. وحتى إذا ما جنبنا الصراع الداخلى، فإن التدفق المتزايد للتسلح فى دول المنطقة يزيد من احتمال الصراع المسلح وتدفق السلاح للتنظيمات الإرهابية وتجار المخدرات. وتتوق الحكومات إلى الانضمام إلى الولايات المتحدة فى "الحرب ضد الإرهاب"؛ كى تحصل على التأييد لما تمارسه هذه الحكومات من إرهاب دولة، الذى كثيرًا ما يكون على نطاق يبعث على الصدمة كروسيا وتركيا، إذا ما اكتفينا بذكر أوضح مثالين، بالرغم من أن تركيا استفادت دائمًا من دعم الولايات المتحدة الحاسم.

سؤال: إن پاكستان والهند، اللتين لهما حدود مشتركة، كما أنهما تتسلحان نوويًا، كان بينهما صراع خطير منذ سنوات. كيف يمكن للضغط المفاجئ الحاد الذى تمارسه الولايات المتحدة فى المنطقة أن يؤثر فى علاقتهما المتوترة أصلاً؟

تشومسكى: إن المصدر الرئيسى للصراع هو كشمير، حيث تزعم الهند أنها تكافح ضد الإرهاب الإسلامى، وتزعم پاكستان أن الهند تأبى منح حق تقرير المصير، وأنها نفذت هى نفسها إرهابًا واسع النطاق. وللأسف، فإن جميع المزاعم صحيحة فى أساسها. ولقد كانت هناك العديد من الحروب بسبب كشمير، آخرها فى ١٩٩٩، حين كانت الأسلحة النووية متاحة للبلدين؛ ولحسن الحظ، أمكن التحكم فيهما، غير أن ذلك لا يكاد يكون مضمونًا. ذلك أن التهديد بالحرب

النووية من المحتمل أن يزداد إذا واصلت الولايات المتحدة عسكرة برامج الفضاء التى توصف على سبيل التخفيف "بالدفاع الصاروخى" . وتشمل هذه البرامج أصلاً دعم التوسع فى قوات الصين النووية، للحصول على قبول الصين بإذعان لهذه البرامج . ومن المفترض أن تحاول الهند معادلة توسع الصين، ثم پاكستان وغيرهما، بما فى ذلك إسرائيل . لقد وصف الرئيس السابق للقيادة الاستراتيچية الأمريكية قدرات الهند النووية بأنها "بالغة الخطورة" وبأنها واحدة من أول التهديدات فى المنطقة . كلمة "ملتهبة" كلمة صائبة وربما هناك كلمة أشد سوء .

سؤال . قبل ١١/ ٩ كانت إدارة بوش تتعرض لانتقاد شديد، حتى من جانب الدول الحليفة؛ بسبب "أحاديتها" السياسية ـ كرفضها التوقيع على پروتكول كيوتو الخاص بالاحتباس الحرارى، والنية فى خرق معاهدة منع الصواريخ البالستية؛ لكى تعسكر الفضاء ببرنامج دفاع صاروخى، والانسحاب من المؤتمر المناهض للعنصرية فى ديربان بجنوب أفريقيا، وهذه مجرد بضعة أمثلة حديثة . ألا يمكن أن يولد الجهد المفاجئ لبناء التحالف "اتجاهًا تعددى الجوانب" جديدًا يمكن أن تحدث فيه تطورات إيجابية غير متوقعة ـ كالتقدم فى القضية الفلسطينية؟

تشومسكى: يجدر بنا أن نتذكر أن "أحادية" بوش كانت امتدادًا لممارسة معتادة . ففى ١٩٩٣، أبلغ كلينتون الأمم المتحدة بأن الولايات المتحدة سوف تتصرف كما فعلت من قبل "بصورة متعددة الجوانب حين يكون ذلك ممكنًا، ولكن بصورة انفرادية حين يكون ذلك ضروريًا" ومضت فى ذلك النهج . وكررت هذا الموقف سفيرة أمريكا فى الأمم المتحدة مادلين أولبرايت، كما كرره وزير الدفاع ويليام كوهين، عام ١٩٩٩؛ إذ صرح بأن الولايات المتحدة ملتزمة "بالاستخدام المنفرد للقوة العسكرية" للدفاع عن المصالح الحيوية، التى تشمل "ضمان الوصول بلا عوائق للأسواق الرئيسية، وإمدادات الطاقة، والموارد الاستراتيچية" وأى شىء، قد ترغب واشنطون فى أن يكون ضمن حكمها . لكن من الصحيح القول بأن بوش ذهب إلى أبعد من ذلك، مسببًا قدرًا كبيرًا من القلق بين الحلفاء . ربما تخفف الحاجة الراهنة إلى تكوين ائتلاف من حدة الخطاب، ولكن من غير المحتمل أن تغير من السياسات . إذ أن المنتظر من أعضاء التآلف أن يكونوا مؤيدين صامتين مطيعين، لا أن يكونوا شركاء . فالولايات المتحدة تحتفظ لنفسها بوضوح بالحق فى التصرف كما

تشاء، وهى تتحاشى بعناية أى لجوء له معنى للمؤسسات الدولية، حسب ما يتطلب القانون. هناك لفتات تفيد بالعكس، غير أنها تفتقر إلى أى مصداقية، وإن كانت الحكومات من المفترض أن تقبلها، انحناء للقوة كما تفعل بانتظام للأسباب الخاصة بها! ومن غير المحتمل أن يحصل الفلسطينيون على أى شىء. بل على العكس، فإن الهجوم الإرهابى فى الحادى عشر من سبتمبر كان ضربة قاصمة لهم، كما فهموا ذلك مباشرة هم وإسرائيل.

سؤال: منذ ١١/ ٩، ظل وزير الخارجية كولين باول يرسل إشارات بأن الولايات المتحدة قد تتخذ موقفًا جديدًا بالنسبة لمحنة الفلسطينيين. فما قراءتك لذلك؟

تشومسكى: إن قراءتى هى بالضبط قراءة المسئولين وغيرهم من المصادر التى اقتبست أقوالها قرب نهاية موضوع الصفحة الأولى فى النيويورك تايمز. إذ أنهم أكدوا على أن بوش وباول لم يذهبا بعيدًا، ولو إلى القول بمقترحات كلينتون فى كامب داڤيد، التى تمتدح هنا، بصفة عامة، ولكنها مرفوضة تمامًا لأسباب نوقشت مناقشة دقيقة فى إسرائيل وفى غير إسرائيل، وكما يمكن للمرء أن يرى عند النظر إلى إحدى الخرائط، وأظن أن هذا أحد الأسباب الذى يجعل من الصعب العثور على الخرائط هنا، وإن لم يكن ذلك صعبًا فى أماكن أخرى بما فيها إسرائيل. ويمكن للمرء أن يجد تفاصيل أكثر عن ذلك فى المقالات التى كتبت فى وقت كامب داڤيد، بما فى ذلك مقالات كتبتها أنا، وفى مجموعة المقالات التى حررها رون كيرى بعنوان الانتفاضة الجديدة.

سؤال: إن التدفق الحر للمعلومات واحد من الخسائر الأولى لأى حرب. فهل الوضع الحالى يعد استثناء بأى معنى من المعانى؟ وهل هناك أية أمثلة؟

تشومسكى: نادرًا ما ترجع العراقيل التى توضع أمام التدفق الحر للمعلومات فى بلاد كالولايات المتحدة إلى الحكومة، وإنما إلى الرقابة الذاتية من النوع المألوف. والموقف الراهن ليس استثناء من ذلك - بل هو أفضل من الأسلوب المتبع إلى حد كبير، حسب رأيى. ومع ذلك، هناك أمثلة مثيرة على جهود حكومة الولايات المتحدة للحد من التدفق الحر للمعلومات فى الخارج. كان فى العالم العربى مصدر إخبارى حر مفتوح، هو القناة الإخبارية التلفزيونية الفضائية، الجزيرة فى قطر،

التى تتخذ من هيئة الإذاعة البريطانية نموذجًا لها، ولها عدد كبير من المشاهدين فى أنحاء العالم الناطق باللغة العربية. فهى المصدر الوحيد للمعلومات غير الخاضع للرقابة، والذى يحمل قدرًا كبيرًا من الأخبار المهمة، وكذلك النقاشات التى تجرى على الهواء، مع تنوع كبير فى الآراء بالقدر الذى شمل آراء كولين پاول قبل ١١/ ٩ ببضعة أيام ورئيس الوزراء الإسرائيلى باراك وكذلك أنا، أقول ذلك؛ كى أعلن عن اهتمامى، كما أن الجزيرة "المنظمة الإخبارية الدولية الوحيدة التى تحتفظ بمراسلين فى الجزء الذى تتحكم فيه طالبان [صحيفة وول ستريت چورنال]. لقد كانت، مثلاً، مسئولة عن التصوير المنفرد لتدمير التماثيل البوذية الذى أغضب العالم، بحق. كما قدمت مقابلات مطولة مع ابن لادن التى أثق فى أنها محصت جيدًا من جانب وكالات المخابرات الغربية، كما أنها لا تقدر بثمن بالنسبة لغيرها ممن يريدون فهم ما يفكر فيه. لقد ترجمت هذه المقابلات وأعيدت إذاعتها فى هيئة الإذاعة البريطانية أو الكثير منها منذ ١١ / ٩ .

ومن الطبيعى أن تشعر الدكتاتوريات فى المنطقة بالحقد والخوف من الجزيرة، على الأخص؛ بسبب فضحها الصريح لسجلاتها فى مجال حقوق الإنسان. ولقد انضمت الولايات المتحدة إليهم. إذ تذكر هيئة الإذاعة البريطانية أن "الولايات المتحدة ليست أول من يشعر بالضيق من تغطية الجزيرة للأخبار، التى أثارت فى الماضى الغضب فى الجزائر، والمغرب والسعودية والكويت ومصر؛ بسبب إفساحها زمن الهواء للمنشقين". ولقد أكد أمير قطر "أن واشنطون طلبت من قطر أن تكبح جماح محطة الجزيرة ذات النفوذ والمستقلة من حيث التحرير" كما ذكرت هيئة الإذاعة البريطانية. والأمير الذى يرأس أيضًا منظمة المؤتمر الإسلامى التى تضم ٥٦ دولة، أخبر الصحافة فى واشنطون أن وزير الخارجية الأمريكية پاول، ضغط عليه كى يكبح جماح الجزيرة، أى أن "يقنع الجزيرة بأن تخفض من تغطيتها" كما تقول قناة الجزيرة. وحين سُئل الأمير عن تقارير الرقابة، قال: "هذا صحيح. سمعنا من الإدارة الأمريكية، وكذلك من الإدارة السابقة" [هيئة الإذاعة البريطانية، ٤ أكتوبر، مقتبسة عن رويترز].

إن التقرير الوحيد الجاد الذى لاحظته عن هذا النبأ بالغ الأهمية يوجد فى صحيفة وول ستريت جورنال ٤ أكتوبر، الذى يصف أيضًا ردود أفعال المفكرين

والدارسين فى أنحاء العالم العربى. "مخيف حقًا" إلخ. ويضيف التقرير، كما فعلت الصحيفة من قبل، "إن الكثيرين من المحللين العرب جادلوا، بأنه فى نهاية الأمر، فإن إهمال واشنطون الواضح لحقوق الإنسان فى الدول الموالية رسميًا لأمريكا مثل السعودية هو الذى يشعل نار الكراهية المتفشية لأمريكا".

لقد كان هناك دائمًا استخدام قليل بشكل ملحوظ للمقابلات التى أجريت مع ابن لادن، وغير ذلك من المواد الآتية من أفغانستان والتى أتاحتها الجزيرة. وبعد أن أذاعت الجزيرة شريطًا لابن لادن عظيم الفائدة للدعاية الغربية، وكتب عنها فورًا فى الصفحات الأولى، صارت هذه القناة شهيرة. وكتبت النيويورك تايمز موضوعًا إخباريا عنوانه "محطة عربية تقدم تغطية من الموقع" [إلين سيلينو، ٩أكتوبر] وأثنى التقرير على القناة باعتبارها "معارضة فى العالم العربى، مع برامج إخبارية وشئون عامة على مدار الساعة تصل إلى ملايين المشاهدين". "لقد كونت هذه الشبكة سمعة باعتبارها تقدم تقارير مستقلة من مواقع الأحداث، تختلف اختلافًا حادًا عن محطات التلفزيون الناطقة باللغة العربية". وقد "ركزت على موضوعات تعد مثيرة للقلاقل فى معظم أنحاء العالم، مثل: غياب المؤسسات الديموقراطية، واضطهاد المنشقين السياسيين، وعدم مساواة المرأة." ويشير الموضوع الإخبارى أن "صناع السياسة الأمريكية قد أزعجهم كل ما تذيعه الجزيرة" عن مقابلات ابن لادن و"الخطابة المعادية لأمريكا" التى يقدمها المحللون والضيوف "والمشاهدون الذين يتحدثون فى البرامج عن طريق التليفون." أما الباقى فلم يذكر، مع أنه كان هناك تحذير خفيف فى اليوم التالى. إذن، الإجابة هى نعم، هناك حواجز تحول دون التدفق الحر للمعلومات، لكن اللوم فى ذلك لا يقع على الرقابة الحكومية أو الضغط الحكومى، وهذا عامل هامشى جدًا فى الولايات المتحدة.

سؤال: ماذا فى اعتقادك يجب أن يكون دور وأولوية الناشطين الاجتماعيين المهتمين بالعدالة فى هذا الوقت؟ هل يجب أن نحد من انتقاداتنا، كما زعم البعض؟ أم أن هذا وقت للجهود المتجددة الكبيرة، ليس لأنها أزمة يمكن أن نحاول بشأنها أن يكون لنا أثر إيجابى، ولكن أيضًا لأن قطاعات كبيرة من الجمهور بلغت بالفعل حدًا من الإدراك أكبر من المعتاد، بحيث تكون قادرة على المناقشة والاستكشاف، حتى لو كانت هناك قطاعات أخرى معادية لا تتزحزح عن مواقفها؟

تشومسكى: يتوقف الأمر على ما يحاول هؤلاء الناشطون تحقيقه. فإذا كان هدفهم هو تصعيد دائرة العنف وزيادة احتمال وقوع المزيد من الفظائع كما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر - وللأسف، ربما أحداث أشد سوءًا يألفها الكثيرون فى أنحاء العالم - إذن عليهم بالتأكيد أن يحدوا من تحليلاتهم وانتقاداتهم ويرفضوا التفكير، ويقللوا من انهماكهم فى القضايا الجادة التى ينشغلون بها. والنصيحة تقدم نفسها لهم إذا ما كانوا يريدون مساعدة أشد العناصر رجعية وتخلفًا فى جهاز السلطة السياسية والاقتصادية على تنفيذ خطط تضر الناس ضررًا بليغًا هنا وفى الكثير من أجزاء العالم، بل قد يهددون بقاء الإنسانية. وعلى العكس، إذا كان هدف الناشطين الاجتماعيين التقليل من احتمال وقوع المزيد من الأعمال البشعة وتقوية الأمل فى الحرية وحقوق الإنسان والديموقراطية، إذن عليهم اتباع النهج المعاكس. عليهم تشديد جهودهم للاستفسار عن العوامل التى تكمن وراء هذه الجرائم وغيرها من الجرائم، ويكرسون أنفسهم من أجل القيام بالمزيد من الطاقة لخدمة الأهداف العادلة التى التزموا بها أصلاً. عليهم أن يصغوا حين يلح أسقف مدينة سان كريستوبال بجنوب المكسيك، يلح على سكان أمريكا الشمالية، يعنى الولايات المتحدة وكندا، بأن يتأملوا فى السبب الذى جلب عليهم كل هذا الكره "ذلك أن هذا الأسقف قد نال حظه من البؤس والظلم - بعد أن "ولّدت الولايات المتحدة كل هذا القدر من العنف لحماية مصالحها الاقتصادية" [ماريون لويد، ميكسيكو سيتى، بوستون جلوب، ٣٠ سبتمبر].

من المؤكد أنه من المريح لنا الإصغاء إلى كلمات المعلقين الليبراليين (المتحررين) الذين يؤكدون لنا "أنهم يكرهوننا؛ لأننا ننادى بنظام عالمى جديد، من الرأسمالية والفردية والعلمانية والديموقراطية التى ينبغى أن تكون هى المعيار فى كل مكان". [رونالد ستيل، النيويورك تايمز، ١٤ سبتمبر]، أو أنتونى لويس، الذى يؤكد لنا أن المغزى الوحيد لسياساتنا الماضية، هو أنها "تؤثر تأثيرًا سلبيًا على اتجاهات الرأى العام فى العالم العربى فى الجهد الذى يقوم به الائتلاف فى محاربة الإرهاب [نيويورك تايمز، ٦ أكتوبر] فهو يعلن بثقة أن ما فعلناه كان من الممكن ألا يكون له أى أثر فى أهداف الإرهابيين. فما يقولونه عديم المغزى تمامًا بحيث يمكن تجاهله، كما أننا يمكننا أن نرفض التوافق بين ما كانوا يقولون والأعمال المحددة التى قاموا بها

على مدى العشرين سنة التى تفشى فيها الإرهاب ـ والكلام لا غموض فيه، وقد نقله بتوسع صحفيون جادون وعلماء. إن الحقيقة التى ليست فى حاجة إلى دليل أو حجة، هى أن الإرهابيين "يسعون إلى التحول العنيف لعالم مزمن فى الخطيئة والظلم" ولا يمثلون سوى "العدمية المدمرة" [اقتباس عن ميكل اجناتييف، بعد أخذ موافقته]. وليس فى وسع أهدافهم المعلنة أو أفعالهم ولا هو فى وسع الاتجاهات الواضحة الصريحة التى يتبناها سكان المنطقة ـ بما فى ذلك الكويتيون المؤيدون لأمريكا ـ أن يحدثوا أقل فرق. فعلينا، إذن أن نغض الطرف عن أى شىء فعلناه، يمكن أن يثير هذه الاستجابات. لا شك فى أن هذا أكثر مدعاة للراحة، لكنه ليس أكثر حكمة إذا كنا نهتم بما يواجهنا فى المستقبل. ومن المؤكد أن الفرص موجودة. ذلك أن صدمة الجرائم المريعة جعلت بالفعل قطاعات طليعية تنفتح على نوع من التفكير كان من الصعب تخيله من زمن قريب، والصحيح أيضًا أن هذا حدث بين عامة الناس. فمن واقع التجربة الشخصية فقط، وبجانب المقابلات المستمرة تقريبًا مع محطات الإذاعة والتلفزيون والصحف فى أوروبا وغيرها، قد أصبحت لدى صلات كبيرة مع وسائل الإعلام فى الولايات المتحدة أكثر من أى وقت مضى، وآخرون غيرى يعبرون عن التجربة نفسها.

بالطبع سيكون هناك من يطالبنا بالصمت والطاعة. فنحن نتوقع ذلك من اليمين المتشدد، كما أن أى شخص لديه إلمام قليل بالتاريخ سوف يتوقع هذا من بعض المفكرين اليساريين أيضًا، وربما بشكل أكثر عنفًا. لكن الأمر المهم هو ألا يرهبنا الحديث الهيستيرى المتشنج والأكاذيب؛ كى نظل قريبين بقدر الإمكان من الحقيقة والأمانة، والاهتمام بما سوف يقع على الإنسانية بسبب ما يمكن أن يفعله المرء أو يقصر فى فعله. كل هذه بديهيات، ولكنها جديرة بأن نضعها نصب أعيننا. إذ من خلف البديهيات، نوجه انتباهنا إلى مسائل محددة، للفهم والعمل.

* * *